مكتبة الإسكندرية.. والعهد الجديد

د. حسن السعدى

تدخل مكتبة الإسكندرية عهداً جديداً فى تاريخها بتولى د.مصطفى الفقى رئاستها بعد ماراثون رئاسى ناهز عقداً ونصف لسلفه د.إسماعيل سراج الدين، حيث شهدت فيه المكتبة حضوراً وتألقاً وتأثيراً انتهت جميعها إلى معالم باهتة وجمود متراجع وإنجاز شكلى بفعل طبائع الأشياء. وأحسب أن مسئولية د.الفقى كمصرى أولاً وكمثقف ودبلوماسى سوف تواجه تحديات ما أحسبه بمعزل عنها لكونها بادية للعيان، فضلاً عما يملكه من رؤية ذاتية شكلت معالم حياته العملية الثرية. ولعل أولى هذه التحديات ما أثير حول د.مصطفى ذاته ممن تصوروا أن صغر السن يعد مسوغاً فى ذاته للنجاح، حيث تمثلوا بموضوعية منقوصة العناصر الشبابية التى تقود الأمم فى الغرب مغفلين فى الوقت ذاته أن العطاء وحده هو معيار الاختيار. بل ولم يدروا أن العقل المثقف والخبرات الفعلية لا تحال إلى التقاعد، بل فليراجع البعض ما كتب د.الفقى ذاته منذ سنوات خلت عن «الطابق المسحور» بين الأجيال وما عاناه كغيره من هذا المنطلق.

هذا عن الشخص؛ أما المؤسسة فأحسب أن أول ما ينبغى الأخذ به عمل تقرير عن أوضاع المكتبة من حيث الهيكلة والعائد الفعلى مقابل الأسفار والمنديات والمؤتمرات والفروع. وما يرتبط به من معايير اختيار القيادات الفعلية والاستشارات الهامشية وغيرها التى تم تقنينها ظاهرياً بعد مأساة التعدى على المكتبة ورئيسها إبان يناير. حيث تمخض الأمر إلى أوضاع تكريسية جديدة ولكن بأسلوب ينزع للشفافية الظاهرية. ولعل المراجعة المتأنية فى هذا الشأن من شأنها أن تكشف طبيعة العلاقات بين القطاعات ومراكزها والشخوص القائمة عليها ومعايير اختيارها، ومدى ما قدمته إيجابياً لتحقيق أهداف المكتبة على جميع الأصعدة. فما تزال مسألة الفروع وما تلاها من بدعة السفارات تحتاج إلى إقناع بقيمة وجودها، فى ضوء معايير (الشخصنة) و(العوصمة) فى تقليد باهت لتجربة قصور الثقافة التى انتهت إلى قصور فى الثقافة، مثلما أودت هذه التجارب بالمكتبة إلى ما يمكن أن نطلق عليه (مكتبة اللاإسكندرية). بل وعلى التقرير أيضاً أن يظهر مدى استفادة البعض من إمكانات المكتبة لصناعة اسماً ومجد شخصى لم يكن ليتحقق له لولا المكتبة، وهو ما يتبدى بمراجعة مطبوعات المكتبة ومن توفر على بعض إصداراتها.

كما لا يخفى على الجميع أن تأرجح المكتبة بين الصبغة الثقافية ومثيلتها الأكاديمية قد نال من شخصيتها الشىء الكثير. ولعل خير مثال على ذلك ما يعرف بمركز الدراسات الهلينستية الذى يتيح دون غيره تسجيل الرسائل العلمية واعتمادها فقط من جامعة الإسكندرية!!. كما أن التداخل فى بعض القطاعات قد أفقدها خصوصيتها مثل المعمل الرقمى التابع للمشروعات دون تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وهو ما ينسحب أيضاً على الأستوديو التابع للعلاقات الخارجية. وذات الأمر فى مركز الحضارة الإسلامية البعيد عن القطاع الأكاديمى لحساب المشروعات!! فى تبادلية غير مبررة بشأن مركز توثيق التراث الطبيعى.. مثالاً لا حصراً.

ولعل أهم التحديات أمام د.الفقى فى رأيى الشخصى تتمثل فى وقف إعادة إنتاج المعرفة على مستوى الشخوص والموضوعات، وهو ما كانت تلجأ إليه المكتبة فى أحايين كثيرة بحكم قلة إنتاج أدوات المعرفة وأعنى بهم المواهب والكوادر الجديدة مكتفية بتجميع الشخوص سابقة التجهيز من النجوم الزاهرة فى مؤسسات القاهرة. ليس ضماناً لدفع المسيرة فحسب بل والدعاية الفعلية لها بحكم السيطرة الإعلامية لمعظم تلك الشخوص. الأمر الذى جعل الواقع الثقافى للمكتبة لا يختلف كثيراً عن الواقع الأم، رغم أن أهم أهدافها كمجمع ثقافى هو التعلم والتسامح والحوار والتفاهم. ورغم أن هذا بعض ما يحضرنى فى حديث المكتبة إلا أننى لم أفقد الأمل بعد حيالها، لسبب بسيط هو أننى لم أفقد الأمل يوماً فى فكر د.مصطفى الفقى وحضوره المتميز.. والله المستعان.

أستاذ الحضارة المصرية القديمة
كلية الآداب جامعة الأسكندرية